دورة بصائر

د/ محمد فرحات

الدرس الثاني

(((مبحث نزول القرآن)))

*** تناول العلماء في هذا الباب أربع قضايا ::

أولاً :: أول ما نزل من القرآن
ثانياً ::كيفية نزول القرآن
ثالثاً :: آخر ما نزل من القرآن
رابعاً:: تناولوا أسباب النزول

أولاً مبحث أول ما نزل من القرآن ::

_اختلف العلماء في هذا المبحث وكانت لهم آراء مختلفة
_ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن أول ما نزل قول الحق تعالى " اقرأ بِاسمِ رَبِكَ الذِي خَلَق "
_وتقول أمنا عائشة رضي الله عنها أيضاً في هذه الرواية" أول ما بُدِئ به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث (أي يتعبد) فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فيتزود بمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاء الملك فيه فقال اقرأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم قلت ما أنا بقارئ ،فأخذن فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ

فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال اقرأ بِاسمِ رَبِكَ الذِي خَلَق "حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

_هناك آراء أخرى حددت آيات مختلفة عن هذه منها ما ورد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال أول ما نزل من القرآن " يَأَيُهَا المُدَثِر " وهذا الحديث في الصحيحين قلت أو "اقرَأ بِإسمِ رَبِكَ الذِي خَلَق" ثم قال أحدثكم ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني جاورت بحراء ما قضيت جواري نزلت فاستقبلت الوادي فنظرت امامي وحخلفي وعن يميني وشمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو "أي جبريل " فأخذتني رجفة فأتيت خديجة رضي الله عنها فأمرتهم فدثروني فأنزل الله "يَأَيُهَا المُدَثِر "

_لكن رواية عائشة رضي الله عنها أصح من رواية جابر رضي الله عنه فرواية عائشة رضي الله عنها نص في محل النزاع أما نص جابر رضي الله عنه كان في فترة ما بعد انقطاع الوحي

_اختلف العلماء في الجمع بين الروايتين فقالوا ربما يقصد جابر بن عبدالله أن أول ما نزل يقصد به أي أول ما نزل من سورة كاملة ،، وقيل "يَأَيُهَا المُدَثِر" نزلت بعد أول آية نزلت بعد انقطاع الوحي ،وقيل أنه محض اجتهاد من جابر بن عبدالله رضي الله عنهما

_قيل يأيها المدثر أول ما نزل بالرسالة ،وأول ما نزل بالنبوة " اقرأ بإسم رك ،"

_والخلاصة أن القول بأن اقرأ بِإسمِ رَبِكَ الذِي خَلَق " أول ما نزل هو الأرجح والأقوى

ثانياً مبحث آخر ما نزل من القرآن ::

_ اختلف أيضاً العلماء في تحديد آخر ما نزل من الآيات

**القول الأول ::

_المصنف أورد العديد من الروايات التي تتكلم عن آخر ما نزل ::

_فقال أن آخر ما نزل هو آية الربا

_وذلك لما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما " آخر آية نزلت هي آية الربا "قوله " يَأَيُهَا الذِينَّ ءَامَنُوا اتَقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيّ مِنَ الرِبَا إن كُنتُم مُؤمِنِين "

_العلماء أوردوا أن آخر آية نزلت أيضاً هي قوله تعالى" وَاتَقُوا يَومَاً تُرجَعُونَّ فِيهِ إِلَىَ الله ثُمَّ تُوَفَى كُلُ نَفسٍ مَا كَسَبَت وَهُم لَا يُظلَمُونَّ"

_وقيل أيضاً آخر ما نزل هو آية الدَين قوله تعالى " يَأَيُهَا الذِينَّ ءَامَنوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَىً فَاكتُبُوه "

_وقيل لعل المقصود هذا الموضع لأن الآيات متقاربة

_الخلاصة في القول الأول ::أواخر سورة البقرة قيل أنه آخر ما نزل

**القول الثاني ::

—

_ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال آخر آية نزلت هي آية الكلالة آخر سورة النساء قال تعالى "يَستَفتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفتِيكُم فِي الكَلَالَةِ ,,,"

_لكن العلماء شكوا في هذه الرواية هل هي آخر ما نزل من القرآن أم آخر ما نزل من المواريث,,وقالوا لعله يقصد أنها آخر ما نزل في أحكام المواريث

_قيل أن آخر ما نزل هو قول الله " وَمَن يَقتُل مُؤمِنَاً مُتَعَمِدَاً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدَاً فِيهَا ,,,إلى آخر الآية "النساء 93، اعتمدوا فيها على رواية جاءت في البخاري أن ابن عباس رضي الله عنهما قال آية "" وَمَن يَقتُل مُؤمِنَاً مُتَعَمِدَاً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدَاً فِيهَا ،" هي آخر ما نزل وما نسخها شئ

_منطوق هذا الأثر ليس نصاً في أن هذا آخر ما نزل ولكن يُحمل أنه آخر ما نزل في أحكام الجنايات وهذا هو الأقرب في سياق الأثر " لأنه لو كانت آخر ما نزل من القرآن فإنه يتعارض مع قول ابن عباس رضي الله عنهما أن آخر ما نزل هو آية الربا " يَأَيُهَا الذِينَّ ءَامَنُوا اتَقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيّ مِنَ الرِبَا إِن كُنتُم مُؤمِنِين "

_قيل أيضاً ورد في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما آخر سورة نزلت " إِذَا جَاءَ صرُ اللهِ وَالفَتحِ "

_فالعلماء حملوا هذا القول بأن سورة النصر آخر ما نزل على أنها آخر سورة كاملة نزلت ، أو آخر ما نزل بإجتهاد

_وهذا أيضاً ليس نصاً صريحاً

الخلاصة ::أن العلماء اختلفوا على أقوال كثيرة وآراء مختلفة في آخر ما نزل من القرآن وبالفعل ليس هناك دليل ونص قاطع صريح يوضح آخر ما نزل إنما هو محض اجتهادات
_قال أبو بكر الدقلاني رحمه الله هذه الأقوال ليس فيها شئ مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز أن قائله قاله عن اجتهاد وغلبة ظن ويحتمل أن كل منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه أو قبله بوقت قصير.
_لكن المشهور في الأذهان ولدى بعض الذين يتكلمون في التفسير أن آخر ما نزل " اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسلَامَ دِينَاً " ولكن هذا القول لا دليل عليه ،هذه الآية نزلت في عرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم مكث بعدها فترة
_الذين حمل المصنفون على قول هذا أن الآية تشعر أن هذا آخر شئ في التشريع ولكن الحقيقة ليس هذا هو المقصود إنما المقصود أن الله امتن على عباده بإكمال الدين وإتمام النعمة بدخول الناس في دين الله أفواجاً

**تكلم المصنف بعد ذلك حول شيئ مهم وهو مقصودنا في هذه المدارسة

(((ما الذي أستفيده عندما أعلم أن أول ما نزل كذا وآخر ما نزل كذا ؟؟؟)))

*أن العلماء اعتنوا بكتاب الله وأفردوا مباحثه المتعددة بالتصنيف واهتموا بضبط أول ما نزل وآخر ما نزل فهذا يعطيك ::

1_ *الوثوقية في نقل القرآن الكريم
* الوثوقية في المعلومات التي تأتيك حول كتاب الله
*الوثوقية في العلوم المنبثقة عن كتاب الله عزوجل

2_إدراك الأسرار التشريعية :تعطيك منهاجية التشريع وكيف تعرف التدرج في التشريع
3_يفيدنا في مبحث الناسخ والمنسوخ ما هو وضوابطه

ثالثاً ::مبحث كيفية نزول القرآن صـ95 بالكتاب

_العلماء اهتموا بمسألة نزول القرآن ،كيف نزل ؟؟ ولماذا؟؟

*لأنك إذا ما تتبعت نصوص القرآن الواردة في نزول الكتاب تجد قول الله " شَهرُ رَمَضَانَ الذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنَ هُدَىً لِلنَّاسِ" "إِنَّا أَنزَلنَّاهُ فِي لَيلَةِ القَدرِ""إِنَّا أَنزَلنَّاهُ فِي لَيلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنزِلِينَّ"

_فالقرآن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر تحديداً وهذا هو النزول الأول

_لكن عندما تنظر إلى نزول القرآن وتتبعه تجد أن القرآن لم ينزل جملة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،إنما نزل متوالياً في أماكن وفي أحداث وفي أزمنة متفرقة

_لذلك تكلم العلماء عن ::

((كيف نزل القرآن))

***المذهب الأول حول نزول القرآن ::

*وهو ما قال به جمهور أهل العلم وهو منسوب لـ ابن عباس رضي الله عنهما وإلى جماعة ايضاً من السلف أن القرآن أولاً نزل جملة واحدة ولكن أين؟؟؟

*الذي نزل جملة واحدة نزل إلى السماء الدنيا ثم بعد ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء الدنيا مفرقاً وهذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث رسول الله لأربعين سنة فمكث بمكة 13 سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة 10 سنين ومات وهو ابن 63 سنة " وهذا الأثر ثابت في الصحيح

*القرآن تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في 23 سنة

*وهذا التقسيم بين النزول جملة واحدة ونزوله مفرقاً على النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عن كثير من الصحابة

*عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في 20 سنة ثم قرأ " وَلَا يَأتُونَّكَ بِمَثَلٍ إِلَا جِئنَّاكَ بِالحَقِ وَأَحسَنَ تَفسِيرَاً "،،،"وَقُرءَاناً فَرَقنَّاهُ لِتَقرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكثٍ وَنَزَلنَّاهُ تَنزِيلاً "

*الأثر الثاني الذي ورد أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فُصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم "

_ ما هو بيت العزة ؟؟؟؟

*العلماء قالوا أن في كل سماء بيت يشبه الكعبة فبيت السماء السابعة هو البيت المعمور كما ورد ذكره في الصحيحين وفيه أنه بيت يتعبد فيه الملائكة يدخل فيه كل يوم 70000 ملك ويخرجون منه ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة ويُقال أنه بمحاذاة الكعبة ،وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهل هذه السماء والبيت الموجود في السماء الأولى يُقال له بيت العزة وهذا من قول ابن عباس رضي الله عنهما

*قال العلماء أن الذي يقوله الصحابة مما يكون من الأمور الغيبية ولا مجال للاجتهاد فيه هذا ما يُقال فيه المرفوع حكماً أي يُرفع للنبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يذكر قائله ذلك لأن لا مجال للاجتهاد فيه ولا مكان له في الاسرائيليات وغيرها

إذاً القول الأول أن القرآن نزل نزولان ::

1_ أنه نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا

2_ثم بعد ذلك نزل مفرقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم (أُنزِل نجوماً أي منجماً أي مفرقاً)

*** المذهب الثاني وهو مرويٌ عن الإمام الشعبي رحمه الله ::

*الشعبي هو عامر بن شراحيل ومن أئمة رواة الحديث وأجلة علماء المسلمين

*قال أن المراد من نزول القرآن هو ابتداء النزول " "إِنَّا أَنزَلنَّاهُ فِي لَيلَةِ القَدرِ," أن هذا لا يعني النزول الكامل وإنما يُعني بداية النزول

*فيقول ليس للقرآن إلا نزولاً واحداً

*""إِنَّا أَنزَلنَّاهُ فِي لَيلَةِ القَدرِ " يقول فيها أن هذا كان بداية النزول ويستدلون على هذا بأن القرآن نزل مفرقاً

***المذهب الثالث::

*قيل أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا في 23 ليلة قدر ،كل سنة ينزل من القرآن ما هو خاص بهذه السنة ثم ينزل بعد ذلك منجماً بينما القول الأول قال أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك مفرقاً على قلب النبي صلى الله عليه وسلم
*لكن هذا المذهب محض اجتهاد لا دليل عليه

*** المذهب الرابع ::
*أن القرآن نزل إلى اللوح المحفوظ ثم بعد ذلك نزل إلى بيت العزة ثم نزل مفرقاً على قلب النبي صلى الله عليه وسلم
*وهذا القول ليس بقول مستقل لأنه لا يفترق عن القول الأول وهذا ليس فيه نزول إلى اللوح المحفوظ ولكن كُتب في اللوح المحفوظ

*** ثم تكلم عن مسألة (((نزول القرآن مفرقاً)))

_وقال أن هذا بالفعل هو ما افترق به القرآن عن الكتب السابقة
_الكتب السابقة لم تنزل على الناس نزولاً مفرقاً إنما نزلت جملة واحدة
_ويدل على هذا ما كان يُحاج به أهل الكفر النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له طالما أنك نبي فلمَ لا ينزل عليك الكتاب كما نزل على الأنبياء من قبلك؟ قال تعالى "وَقَالَ الذِينَّ كَفَرُوا لَولَا نُزِلَ عَلَيهِ القُرآنُ جُملَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثبِتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَلنَّاهُ تَرتِيلاً"
_نزول القرآن كان نزولاً مختلفاً
_العلماء في هذا المبحث نظروا لبعض الأمور الطريفة من الناحية اللغوية :

- وجدوا أن التعبيرات التي ورد بها نزول القرآن وردت بصيغ مختلفة لقوله تعالى "قُل نَزَلَ بِهِ رُوحُ القُدُسِ " "إِنَّا أَنزَلنَّاهُ فِي لَيلَةٍ مُبَارَكَةٍ " ،، "وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِ العَالَمِينَّ*نَزَلَ بِهِ الرُوحُ الأَمِين"," فصار هناك تعبير بالتنزيل ونزل وأنزل

_فقالوا هناك فارق في الدلالة اللغوية بين هذا وذاك :،فالتنزيل لما نزل مفرقاً والإنزال لما نزل جُملة واحدة
_العلماء فرقوا بين فعلين ، قالوا أن فَعَّلَّ قالوا يدل على المبالغة والتكثير "لقوله "وَقَطَّعنَّ" بينما أفعل تدل على الفعل المباشر مرة واحدة " أَنزَلَ "
_وهذا واضح في سورة البقرة لقوله " وَإِذ نَجَّينَّاكم ،" "وَإِذ فَرَقنَّا بِكُم البَحرَ فَأَنجَينَّاكُم ،"

*هنا فرق بين نَجَّيناكم و أنجَيناكم
_القرآن نزل بلغة في قمة البلاغة ،
*حيث التعبير الأول نجَّيناكم مِن ءَالِ فِرعَونَ قالوا فيه أن إنجاء بني إسرائيل كان متوالياً نجاة ورا نجاة *أما أَنجَيناكم كان هذا إنجاءاً واحداً في مرة واحدة لما انفلق البحر وعبر بني إسرائيل ثم عاد البحر كما هو عليه ليغرق فرعون ومن معه
_الكتب السابقة لم يأتي معها الوصف نزَّلَ وإنما أتى معها أَنزَلَ فقط أما القرآن جاء معه نَزَّلَ وأنزل وتنزيل

(((لماذا نزل القرآن منجماً ولم ينزل جملة واحدة ؟؟؟)))

****الحكمة من ذلك ::**

1_ أجاب الله عن هذا في قوله "كَذَلِكَ لِنُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ "

*وهذا يحتاج منك إلى بصيرة في تدبر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع دعوته
*كان نزول القرآن جملة واحدة للتثبيت لتجديد الأمر فمال بال رسولنا صلى الله عليه وسلم من أنزله الله للثقلين

2_ التحدي والإعجاز :

*كانوا يأتون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسئلة ويأتون إليه بالتحديات فكانت كل هذه الأمور من العقبات التي توضع في طريق الدعوة فكان القرآن ينزل ليرد شبهاتهم ويرد على طلباتهم وكذلك ينزل القرآن متحدياً لهم يتحداهم

3_ لجعل هذا القرآن ميسراً عليهم

* كما قال لله عزوجل "وَلَقَد يَسَرنَا القُرآَنَ لِلذِكرِ فَههَل مِن مُدَكِر " ،" القرآن نزل على أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب وكانوا يعتمدون على الذاكرة البشرية في استيعاب الأمور بخلاف الأمم السابقة فنزل منجماً للتيسير عليهم

*الصحابة رضوا الله عليهم أخذوا القرآن كما نزل القرآن (العشر آيات العشر آيات فلا يتجاوزنهم حتى يتعلموا ما فيهم ويعملوا بهم)

4_التدرج التشريعي ::

*نزل الأحكام بشكل متدرج وعالجت الكثير من الأحوال خاصة في المدينة حيث استقر شكل الدولة وأحكام الإسلام

*فلم تنزل الأحكام جملة واحدة إنما نزل متدرج

*كما قالت عائشة رضي الله عنها "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام فلو زل أول شيئ لا تشربوا الخكر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تقربوا الزنى لقالوا لا ندع الزنا أبداً "

وهذا الحديث في البخاري يدل على فقهها رضي الله عنها

5_الدلالة القاطعة على أن القرآن هو تنزيل من لدن حكيم خبير

*ليس في مقدور أي إنسان بشري أن يكتب كتاب مثلاً أول العام ثم تجده منسقاً آخر العام استحالة، بينما كتاب االله هو كتاب واحد من أول لآخرة وهذا ما تحدى به الحق سبحانه وتعالى هؤلاء الجاحدين والمعاندين قال تعالى "وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِختِلاَفاً كَثِيرَاً "